مقدمة الشيخ أبي أويس محمد بوخبزة

على كتاب الأخ أبي سفيان مصطفى بحو في مذهب الأشاعرة

بسم الله الرحمن الرحيم،وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بين يديك أيها القارئ الكريم ـ كتاب رائد في موضوعه، فذ في استيعابه واتساعه،وضعه مؤلفه الأخ الباحث المحقق أبو سفيان مصطفى باحو في قسمين ، الأول في شرح عقائد الأشاعرة وبسطها من كتبهم مباشرة،وبألسنة رموزهم ومشاهير من متقدميهم ومتأخريهم، والثاني في نقدها ومناقشتها وبيان عوارها بالأدلة الواضحة ، والبراهين الراجحة، وأول ما يثير الانتباه تسمية علماء الكلام علمهم هذا أصول الدين، والمقصود بالدين هنا الإسلام، وأصوله منحصرة في الوحي المتمثل في القرآن والسنة ، وهو مطبقون على أن الوحي لا محل له من الإعراب هنا،وأن العمدة والاعتماد على العقل بشبهة شيطانية هي أن بالعقل أدركنا صحة النقل،وهي شبهة داحضة لا أثارة عليها من علم،ذلك أن العقل في الإسلام يستعان به على فهم حقائق الدين وإدراك قضاياه،وليس أصلا وأساسا يتحاكم إليه كما عند الجهمية وأفراخهم المعتزلة،وهذه المسألة ـ إنكار الاعتماد على الوحي : القرآن والسنة في العقائد ـ أكبر عورات علماء الكلام،التي لا تسترها الليالي والأيام،وأبشع وأشنع بدعهم وخزعبلاتهم التي لا يثبت معها إيمان،ولا يبقى دين ولا إيقان،وقد قف شعري لسماعها منذ عهود من السنين وأنا طالب عند الوقوف عليها في كتاب الرائد،إلى تصحيح العقائد للمحدث السلفي الناقد عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله، وساءلت نفسي كيف تواصى هؤلاء العلماء وهم أئمة الدين ونجوم المهتدين بتقرير هذا البلاء الماحق،ونقله والدعوة إلى تبنيه،وهم نفسهم يعلمون أن العقل المحال عليه لا شكل له ولا لون،وأنه قلب حول،وأن الخلاف فيما يقرره ويحكم به لا حد له ولا قرار، وقد جلى هذه الحقيقة الناصعة أخونا أبو سفيان بعشرات النصوص عن دهاقنة العقل وحماته ودعاة تحكيمه،وهي في غاية الاضطراب والتناقض والتدافع، ولو كان حكمه لازبا، وما يشير إليه كان كافيا لما وقع خلف ولا اضطراب، وأنت ترى أن الواحد منهم يقول الآن كذا في كتابه كذا ويبذل جهده في نصره، ثم يعرض عن هذا وينصر قولا

آخر في كتاب كذا، تكرر هذا العبث في كلام إمام الحرمين والغزالي والآمدي والرازي والشهرستاني وغيرهم،وحتى ابن زكري والسنوسي، وقد تواتر عن كثير منهم الندم على ما فرط منهم من الخوض بالعقل الذي أفضى بهم إلى الحيرة والفتنة،فأعلن الرازي توبته، وكتب وصيته الشهيرة بذلك،ونظم أبياتا حزينة تنضح بالندم والحيرة،وأعلن إمام الحرمين أنه يرضى بل يرجو أن يموت على ما مات عليه عجائز نيسابور،وإن لم يتم له هذا فويل لابن الجويني، وصاح الشهرستاني ذو العقل الجبار أن لم يجن من أبحاثه وتعقله إلا الضلال والتيه،وهكذا يعجب الإنسان السوي المؤمن من سلوك هؤلاء القادة العقلانيين، وهم يعلمون أن فلسفة الإغريق لم تغن عنهم شيئا، وأن كبارهم كانوا وثنيين لم يهتدوا بعقولهم إلى الحق،وأن من وقع على صواب منهم فإنه لم يطمئن به بل عاش مضطربا لم يهنأ بشيء.

ومسألة أخرى أكبر من أختها ، وهي مثار العجب العجاب، كيف عمي هؤلاء الناس فجهلوا ولا أقول تجاهلوا ، أن إمامهم الذي يدعون الانتساب إليه وهو أبو الحسن الأشعري انتهى به المطاف إلى إعلان التوبة على منبر جامع البصرة،وكتب بنفسه كتبا ضمنها رجوعه إلى الحق ، وتنصله ممن سبق له من الحيرة والضياع والتسكع بين فرق الضلال ومناهجهم وهي كتاب (الإبانة عن أصول الديانة) وهو شهير ، وقد بناه على القرآن والآثار وبوب لصفات الله تعالى أبوبا كثيرة لا ترى فيها رجسا من زبالة أذهان الكلاميين من المعتزلة وغيرهم، وكتاب (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين) وقد أعلن فيه بصريح العبارة أنه على مذهب الإمام المبجل أحمد بن حنبل في العقائد، و(رسالته إلى أهل الثغر) ، وقد قرر فيه عقده،ونصح رحمه الله وجزاه الله خيرا،فليت شعري ما الذي دهاهم حتى تجاهلوا الحق الذي اعتصم به أبو الحسن ودعا إليه بقية عمره،أما كان من الواجب أن يبحثوا عن الحق ليعتقوا رقابهم، ويخلعوا ربقة التقليد من أعناقهم،وقد دفع بهم إلى إلغاء الوحي وتهميشه، وفيه الهدى والنور والسلامة المتيقنة،ومن عجيب المفارقات أن إلغاء الوحي في أصول الدين امتد بسبب التقليد اللعين إلى الفروع أيضا فقرروا بأنه لا يعمل بالكتاب والسنة ، وأن خطابهما للمؤمنين لا يشملهم ، لأنه خاص بالمجتهدين، والاجتهاد قد انقطع،وقد صرح بهذا

معظمهم بمنتهى الجرأة كالقادري والتسولي والمهدي الوزاني في ردوده على المسناوي ، والطالب ابن الحاج، والمكي ابن عزرز في مسألة القبض في الصلاة.

فاعجب لأمة من الفقهاء تتواصى بهذا المنكر العظيم، والخطب الجسيم، وما زلت أذكر وأنا طالب بالمعهد الدينين بالجامع الكبير بتطوان نحضر الدروس متحلقين على فقهاء مدرسين نابهين،وفي درس التوحيد بالمرشد المعين لابن عاشر، وأم البراهين للسنوسي، نقف حيارى جميعا في تفهم صفات المعاني والمعنوية، والفرق بينهما، والكسب الذي هو قدرة لكن لا نقدر بها،وأن الأثر يقع عندها لا بها.ومن اعتقد التأثير بالقدرة المودعة فيها أو بالعلة فهو كافر!!

ولما وصلنا إلى مسألة كلام الله تعالى ومحاولة فهمه اصطدمنا بعقدة العقد،وأم المشاكل وأغلوطة الفكر، وهي الكلام النفسي الذي لا أول له ولا آخر، ولا حرف ولا صوت،وقد شغل المسلمين الأبرياء به عبد الله بن كلاب البصري، وتلقفه عنه أبو الحسن الأشعري قبل توبته،وتبناه الأشاعرة وأدخلوه في صميم الدين،وقرروا في كتبهم بمنتهى البله والسذاجة أن القرآن العظيم المحفوظ في الصدور والمكتوب في المصاحف والمتلو بالألسنة والمسموع بالآذان ليس هو كلام الله، وإنما هو دليل عليه، وعبارة عنه،وفغرت الأفواه، ودهشت الألباب، واضطربت الأفئدة، واستولت الحيرة ، وسألنا الأستاذ عن طبيعة هذا الذي ندين الله به،ونتعبد بتلاوته،فأحال على علماء الكلام وأنهم صرحوا أن المشهور عندهم والصحيح أن هذا القرآن من كلام جبريل عليه السلام،ومنهم من لم يرتض هذا الزعم لأنه لا أثارة له من علم، وأشار إلى أن العبارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم،(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا)

وليت شعري ما الفرق بين هذا الزعم الفاضح،وبين مصيبة القول بخلق القرآن الذي حكم كثير من أئمة السلف بكفر معتقده ، هذه المسألة التي أثارها سدنة الاعتزال وأغروا بها المأمون وأخويه المعتصم والواثق العباسيين وامتحنوا بها علماء المسلمين ، وسفكت فيها دماء،وانتهكت حرمات،وعظم بها البلاء،ورغم أن المحنة رفعت أيام المتوكل،إلا أن إبليس اللعين سعى في إحيائها، ودسها بلون جديد، باسم الكلام النفسي، وتنزيه الله تعالى عن

الحرف والصوت،فانطلت على عقولهم وآمنوا بها ، وتحمسوا لها ولا زالت مقررة تدرس وتلقى إلى الناس.وعبثا حاولنا الفهم. وأعلن الأستاذ أن هذا ما قرره العلماء،فلنكتف به، وأراد الشيخ التهامي الوزاني أن يقرب المعنى فشبه هذا بإشارة التلغراف المعهود ، أو ما يسمى بالشفرة،ولما وصلنا إلى استواء الله تعالى على عرشه استواء يليق بجلاله، وجدنا القوم متهوكين مجمعين على تأويل الاستواء بالاستيلاء،وأنه تعالى ليس فوق العرش كما أخبر عن نفسه في عشرات الآيات،ثم زادوا الطين بلة، والطنبور نغمة فقرروا أنه سبحانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو عينه ولا ولا ..مما حدا بالسلطان الفاتح محمود بن سُبُكتِكين إلى أن سألهم بمجلسه عن الفرق بين هذا الرب الموصوف بهذه السلوب، وبين العدم، فلم يستطيعوا الإجابة،وقال أحد ملوك المماليك وقد سمع الأشاعرة يصفون ربهم بهذه الأوصاف: (هؤلاء القوم أضاعوا ربهم)

وبعد فإن الأمر جد كله،لأنه عقيدة ، وهي الأصل الأصيل والأساس الصحيح،من وفق إليها وعلم علمها المستقى من الوحي الكريم من آيات الكتاب المبين، وأحاديث سيد الأولين والآخرين، نَعِم بتوحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، سعد سعادة أبدية في دنياه وأخراه، وحاز من خير الدارين مبتغاه ، وقرت عينه ببرد اليقين، واستنار قلبه بنور الإيمان، ومن أعرض عن هذا الحق، وانتهج نهج العقلانيين، ضرب في بيداء الشكوك، وغرق في بحار التدليس والتلبيس، وطوح به الكلام إلى مهامه لا يستطيع فيها حيلة ولا يهتدي سبيلا،وإن لم تدركه عناية الله تعالى ولطفه، بالتوبة والإنابة بصدق، هلك وضاع،ولسان حاله ينشد:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما *** والماء فوق ظهورها محمول

تطوان في صباح الأربعاء ٣ جمادى الأولى عام ١٤٣٠

أبو أويس محمد بوخبزة عفي عنه

مع تحيات إخوانك في موقع الشيخ.